اللغة العربيّة وتحديّات العصر

ختام سعيد سلمان*

مدخل: "إنّما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة، أو في ذاتها العامة، فإذا هجعت قوّة الابتكار توقفّت اللغة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهقر، وفي التقهقر الموت والاندثار".

جبران خليل جبران

ملخّص البحث:

مدخل:

عندما تتطوّر التكنولوجيا فإنّ مجالاً جديداً كاملاً من اللغة المحدودة سوف ينشأ".

ديفيد كريستال

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين تطوّراً هائلاً في عالم الاتصالات والتكنولوجيا، ترتّب عليه تغيّر نوعي وملموس في جوانب عديدة من الحياة، وأمام هذا التغيّر تقف اللغة العربية في مفترق طرق تواجه العديد من الأسئلة والتحديّات، وعلى رأسها:

ما هي آثار الثورة التكنولوجية وما تبعها من العولمة والعالم المفتوح على اللغة العربية؟

ما هي التحديات التي تواجه اللغة العربية في عصر التقنيات الحديثة وتكنولوجيا المعلومات؟

كيف تواجه اللغة العربية هذه التحديات؟ وما هي الآليات التي تتعامل بها مع العولمة والثورة التكنولوجية؟

مقدّمة:

اللغة العربية هي مقوّم أساسي من مقوّمات الأمة العربية، وعامل جوهري من عوامل وحدتها وبقائها، وتعدّ العربية من أقدم اللغات العالمية الحيّة، ويشهد على هذا الأمر التواصل بين الحاضر والماضي، فما كتب العرب منذ أمد بعيد ما يزال مقروءاً، أما اللغات الأوروبية فقد أصابها تغيّر كبير، ويشعر الفرنسي مثلاً بالغربة أمام نصّ كلاسيكي، وهذا ما عبّر عنه أحد الأساتذة الفرنسيين، قال مصطفى سليمان: "قال لي أستاذي في باريس قبل عدّة سنوات؛ هنيئاً لكم أنتم العرب تقرأون لأجدادكم منذ ألفي سنة، فتفهمون وتتلذذون، وتؤدّبون به أبناءكم شعراً أو أمثالاً أو..." (1). وكانت العربية لفترةٍ طويلة لغة الفكر والثقافة، وهي لغة لها أصالتها وامتيازاتها وقدراتها التعبيرية، ويكفي العربية فخراً أنّ القرآن الكريم؛ نزل بلسان عربيّ مبين.

وفي عالم اليوم تشغل العربية مرتبة متقدّمة بين اللغات العالمية، فهي إحدى اللغات الرسمية في هيئة الأمم المتحّدة، وتحتلّ المرتبة السادسة بين لغات العالم من حيث عدد الناطقين بها وهي على التوالي:

* د. ختام سعيد سلمان – جامعة بيرزيت، فلسطين

الصينية والإنجليزية والهندية والإسبانية والروسية ثمّ العربية(2) . علاوة على ذلك فالعربية هي اللغة الرسمية في الدول العربية، ولغة وسائل الإعلام، ولغة المدارس الحكومية، ولغة الحياة العامة. ومع كلّ هذا فإنّ العربية – كغيرها من اللغات – تواجه في ظلّ العولمة، وسياسة الانفتاح الاختياري والقهري على الغرب؛ تواجه تحدّياتٍ كبيرة، وتتعرّض في عقر دارها، لمنافسة شديدة من لغتين أجنبيتين هما: الإنجليزية والفرنسية، وقد اختتمت المائدة المستديرة لرؤساء جمعيات حماية اللغة العربية أعمالها بإصدار إعلان دمشق لحماية اللغة العربية، ونبّه رؤساء الجمعيات إلى الخطورة التي تواجهها العربية بسبب الآثار السلبية للعولمة (3)، فما هي العولمة؟ وما هي الآثار المترتبة عليها؟

أثر العولمة على اللغة العربية Globalization

العولمة: مصطلح يعني إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب والأوطان، والثقافات. أو هي الأمركة في جميع أمور الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية... فهي تهدف إلى فرض النموذج الأمريكي ليكون عالمياً، ووسيلتها الأساسية هي اللغة، ولذلك تدعو العولمة إلى إسقاط الحواجز اللغوية كشرط أساسي لدمج بلدان العالم وثقافاتها المختلفة في كيان لغويّ يتسمّ بالشفافية، وإلى اعتماد اللغة الإنجليزية هوية لغوية بدلاً من مفهوم اللغات الوطنية.

ووُصفت العولمة بأنّها ثقافة الإبادة الجماعية، أو هي "التأمرك والتنجلز والتأورب"... وقد وصلت العولمة إلى غرف نومنا، لكنّ مواجهتها – كما يقول د. عزّ الدين المناصرة – لا تكون بإغلاق جهاز الكمبيوتر، أو إطفاء شاشة التلفاز، أو إغلاق الحدود التي لم تعدْ حدوداً حقيقية، بل يتمّ بالتفاعل لتقليل الخسائر" (4).

فالعولمة تتخذّ من الإنجليزية وسيلة لتحقيق مآربها دون اعتبار للآخر وذاتيته الحضارية والقومية والثقافية، وفي ظلّ العولمة تواجه العربية تحدّياتٍ كثيرة تتمثّل على المستوى الثقافي في مهاجمة اللغة العربية الفصحى والطعن فيها، والتشكيك في قدرتها على المعاصرة ومواكبة الحداثة، وأنّها لغة جامدة، وصعبة، ولا تصلح لغة للعلم، لأنّ تقديم العلوم بالعربية – إنْ توفّر – يقطع صلة الدارسين بالبحوث العلمية، ويرون مقابل ذلك أنّ معرفة الإنجليزية أصبحت حاجة عملية في العالم. ونتيجة لذلك أصبحت العربية الفصحى مستبعدةً من العملية التعليمية لحساب اللغات الأجنبية في المدارس الخاصة ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي، التي توجّهت إلى تدريس المواد العلمية مثل: الطبّ، والهندسة، والرياضيات، وغيرها باللغة الإنجليزية أو الفرنسية (بلاد المغرب العربي)، كما تعاني بعض القطاعات الصناعية والتجارية والإدارية والإعلامية ووسائل الاتصالات من هيمنة اللغة الإنجليزية. وقد نبّه رؤساء جمعيات حماية اللغة العربية في إعلان دمشق إلى الخطورة التي تواجهها اللغة العربية بسبب الآثار السلبية للعولمة، ودعوا إلى حمايتها، وأكّد المجتمعون في بيانهم على ضرورة تعميم التجربة السورية في التعليم باللغة الأم، التي تدرّس جميع العلوم في الجامعات والمعاهد – بلا استثناء – باللغة العربية – حتّى في كليّة الطب. وأشاد البيان أيضاً بالتجربة السودانية التي قطعت خطواتٍ كبيرة في مجال تعريب التعليم العالي، ودعا جميع الأقطار العربية إلى الاستئناس بهذه التجارب في الارتقاء بالواقع اللغوي في الوطن العربي (5).

فالإنجليزية هي لغة مرجعية في الثقافة، وذكر الباحث جميل حسين محمد (6) أنّ الإقبال على الإنجليزية مرتبط بالحاجات الإبلاغية للمتعلم. وتتألف القدرة الإبلاغية من ثلاث قدرات متداخلة هي:

أ. القدرة اللغوية وتشمل معرفة أصوات اللغة ومفرداتها وقواعدها الصرفية والتركيبية.
ب. القدرة اللسانية الاجتماعية وهي معرفة قواعد استخدام اللغة في الحياة اليومية بطريقة المقاصد الإبلاغية.
ج. القدرة الاستراتيجية وهي: معرفة استخدام الوسائل اللغوية وغير اللغوية لضمان استمرار التواصل.

ولم يقف الأمر عند حدّ تعليم العلوم، بل امتدّ إلى مساحات أوسع وأعمق، مقترناً بالنظر إلى العربية باعتبارها لغة دنيا، أما الإنجليزية فهي اللغة العليا وهي اللغة العالمية (International) التي تجاوزت الحدود الإقليمية في الانتشار، حيث أصبحت الإنجليزية بمثابة الورقة الرابحة للنجاح الاجتماعي والاقتصادي، ووصلت ظاهرة "التنجلز" إلى ربّات البيوت، اللاتي بدأن يمزجن كلامهن بألفاظ إنجليزية، لقناعتهنّ بأنّ الإلمام بها مظهر من مظاهر الرقي والتحضّر؛ وجزء أساسي من الـ (برستيج/ Prestige)، وحلّت هذه الكلمات مكان الكلمات العربية، واستعملت كأنّها جزء من كلامنا مثل: بدي أعمل نيو لوك (New look)، أنا بدي أروح أعمل (Shopping)، هذا الـ (System) مش عاجبني، بليز (please) ماما، البسي الشوز (shoes)...

وأسهمت وسائل الإعلام وعلى رأسها الفضائيات الكثيرة التي تبثّ على مدار الساعة، في التوجّه نحو التغريب وتبنّي لغة الآخر، والمباهاة بها على جميع الأصعدة اللغوية والثقافية والاجتماعية، وهذا التغريب مقصود ويجب أنْ نحدّ منه ،ولم تكتفِ بهذا، بل قامت بالسخرية من اللغة العربية والنظر إليه وكأنّها شيء من زمن غابر، أو سلعة انتهت مدّة صلاحيتها (expire date)، ولعبت الأعمال الدرامية (الأفلام والمسلسلات) دورها في تشويه صورة اللغة العربية، والسخرية من مُعلّمِها ومُتعلّمها، وتقديمه في صورة الساذج العبيط، وتقفز في هذا المقام صورة "الأستاذ حمام" (نجيب الريحاني)، مدرّس اللغة العربية في فيلم "غزل البنات" وكيف كانت شخصيته رمزاً للإنسان الذي لا يجد قوت يومه، وكيف سخرت ابنة الباشا منه ومن هيئته المزرية.

ثمّ جاءت ثالثة الأثافي، التكنولوجيا الموجودة في كلّ بيت لتعزّز النظرة الدونية إلى اللغة العربية، وتدعم انتشار اللغة الإنجليزية، والتعامل معها على أنها اللغة الأمثل للفهم والإفهام، والأكثر سهولة وسلاسة، وهذا ما نلمسه اليوم عبر استعمال الحاسوب (computer)، والهاتف الخلوي (Mobile)، وغيرها الكثير من التقنيات الحديثة. وفي ختام هذه المناقشة نذكر بأنّ تأثّر اللغة العربية بغيرها من اللغات بدأ منذ زمن بعيد، فقد نجم عن الانتشار المكاني الواسع لهذه اللغة التأثّر المتبادل بينها وبين اللغات الأخرى مثل: الفارسية والسريانية واليونانية عن طريق الترجمة، وتعني البحث عن كلمة عربية مقابل المصطلح الأجنبي، أو عن طريق التعريب، أي صياغة الكلمة الأجنبية في قالب عربي بإجراء بعض التغيير عليها، وكان أسلوب التعريب شائعا منذ القدم، واقتبس العرب الكثير من الألفاظ الأعجمية مثل كلمة: فلسفة وهي معربة من اللفظ اليوناني فيلاسوفيا وتعني محبة الحكمة. وكلمة أسطُرلاب وهي آلة فلكية قديمة تعني مقياس/مرآة النجوم، وهي معربة عن الكلمة اليونانية استرولابون والكلمة مركبة من مقطعين وهي استرو بمعنى نجم ولابون

وتعني ماسك أو لاقط (7) أما في الوقت الحاضر، فقد اتخذ التأثر شكلاً سلبياً، فاللغة تأخذ ولا تعطي، وألفاظها تنحسر وأبناؤها ينفرون منها، وتقوم الجامعات والمعاهد بتقليص الساعات المخصّصة لتدريسها، لاعتقادهم أنّه لا جدوى من تعلّمها وإتقانها، ووجد الإحساس نفسه عند الطلبة الملتحقين بتخصّصات أخرى غير العربية، فهم يتساءلون بمرارة لماذا تفرضون علينا دراسة مهارات اللغة العربية؟

ونجم عن هذا الاستخفاف المقصود باللغة العربية وعدم اهتمام المثقّفين بها خارج دوائر الاختصاص ما يُسمّى بظاهرة التلوّث اللغوي، وكثرة الأخطاء اللغوية، و الخطأ اللغوي في ضوء اللسانيات التطبيقية هو "مخالفة ملحوظة للقواعد اللغوية التي يستخدمها الناس" (8).

ولسنا الآن في مجال بيان أنواع الأخطاء اللغوية وتحليلها (Error Analysis)، ولكنّ المقام في الختام (ولكلّ مقام مقال) يستوجب تقديم عيّنات من هذه الأخطاء من كتاب لأهل الاختصاص وهو "اللغة العربية ووسائل الاتصال" للمؤلّف وليد إبراهيم الحاج الحاصل على ماجستير في العلوم اللغوية (هكذا كُتب على صفحة الغلاف)، وقد استعنت بهذا الكتاب ضمن مراجع هذا البحث، فصُدمتُ لما فيه من أخطاء نحوية وإملائية، وكان المؤلّف قد تعقّب في صفحات كثيرة من كتابه وسائل الإعلام، ونصّ على الأخطاء اللغوية التي يقع فيه الصحفيون كقوله (ص134): "ترد في لغة الإعلام أخطاءٌ لغوية عدّة، قد تكون معجميةً أو صرفيةً أو نحوية"، وقد أورد بعض هذه الأخطاء في الصفحات (135، 136)، وعلّق على ظاهرة الخطأ عند الصحفيين قائلاً (ص 140): "قد يعرف الصحفيون شيئاً من النحو والصرف، ولكنّ معلوماتهم ناقصة". وبالعودة الآن إلى معلومات المؤلّف في النحو والصرف، فقد جاء في الكتاب للتمثيل لا الحصر عدد من الأخطاء اللغوية منها:

1. الخطأ في إعراب اسم إنّ حين يتأخّر، كقوله: "من خلال هذا التعريف نلاحظ أنّ هناك نقطتان مهمّتان ينبغي الإشارة إليهما"، ص254. وقوله: "إنّ للمنهاج دور كبير في التأكيد على أهميّة التعليم الذاتي"، ص268.
2. رفع خبر كان وأخواتها، كقوله: "توحيد الأسواق جميعها لتصبح سوق واحدة"، ص247.
3. الوقوف على المفعول به بالتسكين، وحذف التنوين، كقوله: "تأخذ العولمة أشكال عدّة، من عولمة اقتصادية..."، ص247. وقوله "كتيار كهرباء يسري ويداعب طموحات البشر، ويوقظ من النوم أحلام وآمال كانت نائمة ص254"، .
4. وأخيراً وليس آخراً، هناك أخطاء في كتابة الهمزة، كقوله: "... مُستمدّة من الفلسفة النوعية البراغماتية الثاوية ورائها"، ص245.
وقوله معتذراً في الخاتمة عن خطأ قد يكون وقع فيه سهواً: "أعتذر مسبقاً عن أي خطأ قد يرد، وقديماً قالوا: من لا يعمل لا يُخطيء، وسبحان من لا يخطيء."، ص276. أضاف ياءً إلى الكلمة، وكتب الهمزة منفردة، وتكرّر هذا مرتين في سطر واحد.

اللغة والتقنيات الحديثة:

تأثّرت اللغة العربية –كما تأثّرت جميع اللغات – بما يشهده عالم اليوم، عالم الانفجار المعلوماتي، من تغيرات متلاحقة مذهلة في مجالات التكنولوجيا والاتصالات والاختراعات، وصار إنسان العصر يلهث

لمواكبة هذه التقنيات الحديثة التي تفرض نفسها علينا، ولا سيما استخدام الحاسوب (computer)، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ أميّة القراءة والكتابة تحوّلت الآن إلى أميّة الحاسوب ومرفقاته، وتحضرني في هذا المقام حكاية من الطفولة، حين كانت نساء القرية المتقدمات في السن، يتنازلن ويطلبن منّي برجاء (أنا الطفلة الصغيرة) أنْ أكتب لهنّ رسائل (مكاتيب) لأبنائهنّ العاملين في الكويت، وكنتُ أشعر بفرحة لا توصف لأنّي أقرأ وأكتب، ولديّ ما يميّزني، ولمْ يخطر ببالي حينذاك أنّ الأيام دول، وأنّه سيأتي عليّ يوم أعاني فيه من أميّة جديدة هي أميّة الـ (computer)، فألجأ إلى أبنائي أطلب منهم الغوث والعون؛ كي تسير الأمور على ما يرام.

هذا هو حال الأشخاص، فكيف الحال مع اللغة العربية؟ هل تشعر هي الأخرى بأنّها عاجزة عن التعامل مع التقنيات الحديثة؟ وأنّها غير قادرة على المعاصرة وتلبية الحاجات الملحّة المتجدّدة؟ وأنّها أخيراً، بحاجة إلى مساعدة أبنائها كي تنهض وتواصل المشوار؟؟.

اللغة والشبكة العنكبوتية (Internet):

هي عبارة عن شبكة مواقع رسومية تربط المستخدم بالمعلومات التي يريد الوصول إليها، وتتيح له مدى مفتوحاً متزايداً من الخدمات بشكل سريع (The Information Super Highway)، كما تُمكّن أعداداً من الناس كي يتصّل بعضهم ببعض. واستطاعت الشبكة أنْ تخرق جميع الحواجز الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين دول العالم، "فهي توفّر المعلومات بأنواعها لكلّ من يصل إليها بغضّ النظر عن جنسه أو لغته ،أو دينه أو عمره أو مكانته الاجتماعية... مما أوجد شكلاً جديداً للتنافس الاقتصادي والسياسي بين الدول" (9). فالإنترنت وسيط إلكتروني عالمي وتفاعلي، وهو ليس مجرّد حقيقة تكنولوجية، بل هو حقيقة اجتماعية، وبضاعتها الأساسية هي اللغة، فمن الطبيعي أنْ تترتّب على وجوده نتائج فيما يتعلّق باللغة المستخدمة. وقام عالم اللغة البريطاني ديفيد كريستال David Cristal ببحث تأثير الإنترنت على اللغات بصورة عامة، وعلى الإنجليزية بصورة خاصة، وقرّر بداية: "أنّه كلما تزايدت النظرة إلى الإنترنت من وجهة نظر اجتماعية أصبح دور اللغة مركزياً، وعلى الرغم من الإنجازات التكنولوجية الملحوظة والإبهار البصري لما يُعرض على الشاشة، فإنّ ما يتضّح مباشرة في أي من وظائف الإنترنت هو سمته اللغوية، وإذا كان الإنترنت يمثّل ثورة فإنّه من المحتمل أنْ تكون ثورةً لغوية" (10).

وختم كريستال حديثه قائلاً: "إنّ كلام الشبكة يُعتبر وسيطاً لغوياً جديداً، ومن الآن فصاعداً لا بدّ أنْ نضيف بعداً آخر للبحث المقارن وهو لغة الحاسوب، ويضيف كريستال: إنّ كلام الشبكة شيء جديدٌ تماماً فلا هو كتابة منطوقة، ولا كلام مكتوب، بل هو شيء مختلف اختلافاً جذرياً عن الكتابة والكلام، فهو باختصار وسيط رابع" (11).

لقد أصبح الإنترنت وسيطاً لاستعمال لغة جديدة، وهذا يعني أنّ هناك مخاطر حقيقية تواجهها اللغات، مع خوف متزايد من أنْ تصبح هذه اللغات ضحايا للإنترنت، وللغة الإنجليزية التي تسيطر على الألسنة الأخرى، ونشعر أنّ هذا الوسيط الإلكتروني سيقلب مفهوم التواصل اللغوي المعتاد رأساً على عقب، وأصبحت الحاجة مُلحّة لوجود قاموس لمصطلحات الإنترنت (Net Dictionary)، ويتساءل كاتب

إنجليزي ساخراً: إذا كانت لغة الحاسوب في الأصل الإنجليزية، فلماذا نبحث عن لغة بديلة للتواصل على الإنترنت مشتقة من الإنجليزية؟ ومن نماذج هذه الصورة الجديدة للغة (الإنجليزية) الاستعانة بالمختصرات:

You -----> u

Your ----->ur

Next ----->nxt

Message ----->msg

Oh My God -----> OMG

By The Way -----> BTW

وكذلك استعمال الأرقام محلّ الحروف، ومن أمثلته:

Night -----> ni8

To -----> 2

For -----> 4

Kuwait -----> K8

Forget -----> 4get

Tomorrow -----> 2morrow

Forgive -----> 4give

فالمهم عند المستخدمين ليس قواعد اللغة وسلامتها بل الإفهام واختصار الوقت والجهد، وتوفير المال كما في الرسائل القصيرة (SMS)، فالشبكة لها آثار سلبية على مستقبل اللغة،كما يقول كريستال: "إن نوعية اللغة المستعملة فيه هي التي سوف تسود، وإنّ المعايير اللغوية سوف تتهاوى، وإنّ الإبداع سوف يضمحل، نتيجة لقيام العولمة بفرض التشابه على الجميع" (12).

لقد أدّى التواصل عبر الشبكة إلى مواجهة مع منظومة اللغة على اتساعها، ويرى بعض الباحثين "أنّ أزمة اللغة العربية مرشّحة في الوقت الراهن للتفاقم والازدياد، تحت ضغط المطالب المُلحّة لعصر المعلومات، واتساع الفجوة اللغوية التي تفصل بيننا وبين العالم المتقدّم" (13). وإذا كانت الشبكة العنكبوتية تمثّل ثورة فإنّها ثورة لغوية تهدّد اللغات غير الإنجليزية، لأنّ اللغة المستخدمة (Internet Language) هي الإنجليزية، ويُطلق على كلام الشبكة اسم (netlish)، وهذا المصطلح مأخوذ من كلمة (English)، ويرى بعض المفكّرين أنّ "الشبكة آلة ضخمة لنجلزة العالم" (14). وفي هذا الصدد كتب ديفيد كريستال:

"إذا أردت أنْ تستفيد أقصى استفادة من الإنترنت، فإنّ هناك طريقة واحدة حقيقية لكي تفعل ذلك (تعلّم الإنجليزية)، مع الاعتراف بوجود محدود للغات أخرى، وهي حسب الإحصائية: الإنجليزية: 82.3%، وما تبقّى توزّع على اللغات الأخرى وهي على التوالي: الألمانية، اليابانية، الفرنسية، الإسبانية... أمّا اللغة العربية فتأتي في المرتبة الثامنة عشرة" (15).

هذه النتيجة طبيعية لأنّ الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) انطلقت من الولايات المتحدة عام 1969م من الشركة المعروفة (ARPANET) الوكالة الأمريكية لمشاريع البحوث المُتقدّمة، واستمرت هناك عدّة سنوات قبل أنْ تنتشر في بقيّة أنحاء العالم، فكانت معظم هذه المواقع تتعامل باللغة الإنجليزية... ولكنْ مع عولمة الإنترنت، بدأ وجود اللغات الأخرى يزداد. ويُعتبر موقع الشبكة العربية (Arabnet) من المواقع العربية الأولى التي دخلت عالم الإنترنت، وقد أسّسته الشبكة السعودية للأبحاث والتسوّق في لندن آخر عام 1994م، وبداية 1995م، ثمّ توالى دخول معظم الدول العربية إلى الشبكة.

حالات الشبكة العنكبوتية التي لها أثر على اللغة:

لأنّ الشبكة العالمية هي حجر الأساس في عصر العولمة والسرعة، كان لا بدّ لهذه الشبكة أنْ تعكس بشكل واضح وجليّ اسم هذا العصر، الذي انعكس أيضاً على اللغة المكتوبة، فظهر ما يُسمّى بعلم لغة الإنترنت التطبيقي، حيث يحاول مستخدمو هذه الشبكة ايصال أفكارهم ومشاعرهم وآرائهم بشكل سريع، يعتمد على مبدأ: أكتبُ لأفَهم وأُفْهِم، ولا أكتب حتى أتماشى مع قواعد اللغة وإملائها، ويسهل على الباحث لمس هذا الأثر بمجرّد الدخول إلى وسائط التواصل الاجتماعي مثل الـ facebook، أو إلى تطبيقات الدردشة مثل Chat Applications، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه الوسائط، توفّر لمستخدميها قاموساً إلكترونياً أوتوماتيكياً، يضع خطّاً أحمر تحت الكلمات المكتوبة بصورة خاطئة، مع إمكانية تصحيح الخطأ. وفيما يلي توضيح لأثر الشبكة العنكبوتية على اللغة من خلال اللغة النصيّة في:

أ. البريد الإلكتروني E-mail

هو وسيط سهل التناول، يتيح لمستخدميه التواصل المباشر السريع وغير المكلف، عبر تبادل الرسائل المكتوبة، مع امكانية ارسال رسالة تتضمن نصّا صوتيا أو فيديو، ويتمّ إرسال الرسائل من أي جهاز حاسوب آلي مركزي مرتبط بإحدى الشبكات إلى أي جهاز آخر مرتبط به بسرعة فائقة حيث يستغرق ارسال الرسائل بضع ثوان، وفي حال عدم وصول الرسالة فإنّ البرنامج يحيط المرسل علما بذلك، والبريد الالكتروني هو الوسيلة الأساسية لقطاع الأعمال والاتصالات، ويزداد استخدامه يوما بعد يوم.

ب. تطبيقات الدردشة Chat Applications

هو تطبيق متخصّص في عمل الدردشة النصيّة التي تدور حول موضوع محدّد، أو لعدد غير محدود من الموضوعات والأغراض، مع إمكانية عمل الدردشة الصوتية والمرئية، ويتيح البرنامج المجال لمستخدميه لإرسال الصور وملفات الفيديو أيضاً. وتجدر الإشارة إلى أنّ مجموعات الدردشة كبيرة جدا؛ لأنّ غرف الدردشة (chat rooms) مفتوحة أمام جميع الناس، بغضّ النظر عن الفئة العمرية أو العرق أو المستوى الثقافي، أو المقدرة اللغوية للمستخدم.

ج. مواقع الشبكة الاجتماعية مثل الفيس بوك Facebook

يُعدّ الـ Facebook الموقع الأول في العالم للتواصل الاجتماعي، ويختلف عن غيره في كونه يفرض على مستخدميه إبراز أسمائهم الحقيقية. بالإضافة إلى أنّ Facebook يوفّر لمستخدميه خاصية الدردشة المكتوبة والمسموعة والمرئية، كما يتيح لهم تبادل الصور وملفات الفيديو "الوسائط المتعدّدة" (Multimedia)، ونشرها وتبادل التعليقات، وخاصية "إعجاب" (Like)، وخاصية المشاركة "Share" بسهولة تامة.

إنّ التواصل بين الناس عبر المواقع السابق ذكرها قلب مفهوم التواصل اللغوي رأساً على عقب، واستطاع الناس أنْ يُطوّعوا لغتهم بحيث تفي بالمتطلبات الجديدة، والشعار الجديد للكتابة هو: نكتب لنَفْهَم ونُفْهِم، ومن الأمثلة عليه:

tb lsn mtzaker el "coming soon" page elle raf3tha la ramzi jewelry .. bde "

"trf3le yaha kman marra.. hall2 bb3tlk el cpanel el jdede

"ات واز ا فاست ارانجمت , ايفين اد لوفد اف يو وير ثير, ياا وي شود , ليت مي ارانج مي يونيفيرسيتي ستااف اند ذين اي ويل كول يو جايز تو دو سمثينج."

"لكل اصدقاءنا اللي بسألو عن طريقة Share وكيف رح يتم احتسابها. اتبع الخطوات الثلاث وبالتوفيق للجميع .. تذكروا كل ما عملت Share اكثر كل ما زادت فرصتك بالربح"

وقد اقترنت الكتابة في هذا الموقع بالسمات اللغوية التالية:

1. غياب مقاييس اللغة النموذجية كما حدّدتها لسانيات اللغة Linguistics، التي تهتم باللغة بما هي نظام وقواعد عامة (تلتزم بها الجماعة اللغوية) فلم يلتزم كاتبو هذه الرسائل بالقواعد العامة التي تخضع لها اللغة، فكثُرت فيها الأخطاء النحوية والإملائية والطباعية، الأمر الذي يثير غضب الغيورين والأكاديميين، فهذه الرسائل لا تخضع لتدقيق لغوي، ولا يقوم الناس بمراجعة رسائلهم لغياب السمة الرسمية لمعظم هذه الوسائط اللغوية، يضاف إلى ذلك أنّ الخلفية التعليمية لمنشئيها متباينة، مما يؤدّي إلى استخدام أنماط معيّنة من التراكيب النحوية الخاطئة. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تؤدّي المعايير المتساهلة لهذه الوسائط إلى نهاية الكتابة والهجاء كما نعرفهما؟
2. الازدواجية اللغوية بين العامية والفصحى: "وهي العلاقة الثابتة بين ضربين لغوين بديلين ينتميان إلى أصل جيني واحد، أحدهما راقٍ، والآخر وضيع، وترتفع منزلة أحدهما فيُعتبر المعيار، ويُكتب به الأدب المعترف به، ولكنْ لا تتحدّث به إلا الأقلية، وتُحطّ منزلة الآخر وتتحدّث به الأكثرية" (16). وتمزج الرسائل المتبادلة أحياناً بين العامية والفصحى، أو بين لغة القراءة والكتابة واللغة المحكيّة، ويكمنُ الخطر في استعمال اللهجات العامية في الكتابة في كونه يؤدّي إلى خلق عاميّة موثّقة (17)، وإنْ كانت له حسنة في أنّه يقرّب اللهجات العربية بعضها من بعض. ومن الأمثلة عليه:

- بحبك يا هبة إنتي وحبيبة بابا سما
- ما تفقديش الأمل يا أماني ده أنتي أماني
- كنترول حبيبي أبغي أغنية آخر كلام

3. وضوح الرسائل: ويتضمّن الوضوح سهولة القراءة، وسهولة الفهم، وهذا يعني تنسيق الرسالة، وتقسيمها إلى فقرات، وترك مسافات بين الفقرة والأخرى حتى لا تختلط الأمور، ويشعر القارئ (المتلقّي) بالملل. ويحتاج التنسيق الى استعمال علامات الترقيم، إلا أنّ استخدام هذه العلامات لا يجري دائماً على النحو الصحيح المتعارف عليه، فقد تستعمل علامات (؟، !، ...) في أماكن ليست لها، بالإضافة إلى اختصار علامات الترقيم، أي التقليل منها تحت ضغط عامل السرعة، مما يؤثّر على المعنى، أو يؤدّي إلى سوء فهم. ومن مستلزمات الوضوح أيضاً: استخدام الجمل القصيرة لأنّ الجمل الطويلة تبعث الملل، وتعطي إحساساً عند المُستقبِل بالتشتت وصعوبة المتابعة.
4. الثنائية اللغوية: أي الجمع بين العربية والإنجليزية في الكتابة، أو ما أُطلق عليه اسم (العربيزية)، إذ راح هؤلاء المستخدمون يكتبون الجملة خليطاً عجيباً من العربية والإنجليزية، أو من العربية ولغات أخرى، وبدت للناس وكأنّها لغة جديدة، حتى إنّ بعضهم تساءل ساخراً: يو سبيك عرابيزي؟؟ ومن أمثلته:
   - بليز ماما البسي الشوز
   - هاي أنا محمد بحب أتعرّف... طب باي
   - عشان نصوّر الـ Items اللي في المحل لازمنا Background (باك جراوند) بيضة
   - كيف شايفة هالـ نيولوك؟

ويلتقي مع هذه الظاهرة استعمال عامة الناس لكلمات: thanks, sorry, see you, you know. ويتفرّع من هذه الخاصية ظاهرة الرومنة (Romanization) وتعني استعمال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي، وقاموا باستعمال الأرقام البدائل مكان الحروف العربية التي لا مقابل لها في اللاتينية، وأصبحت هذه اللغة الجديدة ورموزها معروفة عند المستخدمين، ومن أمثلتها:

أ: 2، ح: 7، ع: 3، غ: 8، ط: 6...

ولقيت هذه الظاهرة رواجاً عند الناس، لأنّ الحرف العربي يعاني من بعض المشاكل مثل: ظاهرة الشَكْل أي الحركات القصار، فالخط العربي يخلو من الحروف التي تمثّل الصوائت القصار، وفي الوقت نفسه قلّما يهتم الكتبة باستعمال الحركات، كما أنّ الوقف على الكلمات يكون بالتسكين، وتتساوى في الرسم الإملائي (لكَ لكِ)، (أنتَ، أنتِ)، (عليكَ، عليكِ)، (بكَ، بكِ)... مما يؤدّي إلى اللبس في القراءة، وعدم التمييز أحياناً بين قصار الحركات وطوالها، وللخروج من هذه المشكلة شاعت ظاهرة إضافة الياء إلى ضمير المخاطبة، للتمييز بين المخاطب المذكر والمخاطب المؤنّث، وانتقلت من الكتابة بالعامية إلى الكتابة بالفصحى، كقولهم:

- لماذا قررتي الانضمام إلى فريق العمل...؟
- لماذا قمتي بتقديم هذا البرنامج بالتحديد؟

- أتمنّى لكي حياة سعيدة، وكلّ سنة وأنتي بألف خير.
- أرجوكي أنْ تساعديني... وهكذا.

والذي يهمّ المستخدم هو المطابقة بين النطق والرسم الإملائي لتيسير القراءة وإزالة اللبس، وفي ضوء ذلك لا يشغل باله بقواعد اللغة، فالذي يهمّه هو التعبير عن أفكاره بيسرٍ وسهولة، واللغة عنده وسيلة لتلبية حاجاته وليست غاية يلهث وراءها. ومن المشاكل الأخرى التي يعاني منها الحرف العربي ظاهرة الإعجام، وضع النقاط على الحروف، وكثرة القواعد الإملائية والنحوية، وكثرة الاستثناءات فيها، وارتباط بعض قواعد الإملاء بالنحو والصرف، وهذا واضح في الأفعال المعتلة الآخر، أحياناً يُثبّت الحرف وأحياناً يُحذف أو يُقصر، (يبقى، لم يبقَ)، (يدعو، لم يدعُ)، والاسم المنقوص (قاضي المحكمة، قاضٍ)... إلى جانب قضيّة وصل الحروف وفصلها، وما يترتّب عليها من اختلاف صورة الحرف الواحد في الكتابة باختلاف موقعه من الكلمة (ع عـ ـعـ)... مع التأكيد في النهاية على أنّ المستوى الكتابي في العربية قليل المشاكل بالمقارنة مع اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، فالكتابة عندنا شبه صوتية، أي هناك مطابقة بين النطق والرسم الإملائي، وتُقرأ الحروف حسب تتالي ورودها في الكلمة.

5. ظهور بعض الملامح اللغوية والصيغ الجديدة المتعارف عليها لدى جمهور المستخدمين من الشباب وصغار السن مثل اللجوء إلى المصطلحات الواضحة الدلالة والتي تشبه الكناية الرسومية، والوجوه الباسمة، واستعمال المختصرات لتوفير الوقت، والإكثار من ضمير المتكلّم أنا، والأفعال الذاتية مثل: أنا أعتقد، أنا بشعر، أظن، أرى/ بشوف، أنا فلسطينية...
6. الآثار الإيجابية للشبكة: كان تأثير الشبكة العنكبوتية إيجابياً في بعض الجوانب، فعملت على إثراء اللغة، وأتاحت مجالاً للتنوّع اللغوي، واستحداث ألفاظٍ ومصطلحات عربية جديدة عن طريق الترجمة المبرمجة، ونعني بها تلك الألفاظ التي ابتدعها مجموعة من علماء اللغة لتسمية ما لم يكن له اسم، أو ما كان له اسم مقترض من لغة أخرى، ونذكر منها على الصعيد الأكاديمي الحاسوب بدلاً من (Computer)، مستعرض المساقات بدلاً من (Course Browser)، علامة غير مكتمل بدلاً من (Incomplete)، امتحان الساعة الأولى بدلاً من (First Hour Exam)، الساعات المكتبية بدلاً من (Office Hours)، انسحاب من المساق بدلاً من (Drop)، مع التذكير بأنّ هذه الكلمات لم تلغِ نظائرها في اللغة الإنجليزية، وبقي استعمال الطلبة للمفردة الأجنبية هو الشائع، وقاموا بتشكيل هذه المفردات العربية في صور صوتية تتمشّى في قليل أو كثير مع قوانين العربية. فمثلاً كلمة Save حُوّلت إلى فعل عربي مزيد وقالوا: سيّف، يسيّف، تسييف. كلمة Drop أصبحت متداولة: دربل، يُدربل، دربلة (حذف المساق). كلمة Message: اشتقّ منها الفعل: مسّج، يُمسّج، تمسيج، وجُمعت بالألف والتاء الزائدتين (مسجات)... ويطول بنا الكلام لو قدّمنا المزيد من هذه الأمثلة والشواهد.

وأخيراً عملت التكنولوجيا على دعم تطوير تعليم اللغات، ودعم التعلّم الذاتي Self Learning، وتوفير الجهود البشرية في تقديم الدروس وشرحها وإجراء الاختبارات (18).

خاتمة وتوصيات:

في نهاية المطاف يجب أنْ نعترف بموضوعية وحيادية، بأنّ اللغة العربية تواجه في عصر العولمة مخاطر كثيرة، وهي بحاجة إلى حماية، وتعزيز صورتها في نفوس أبنائها، وعدم منح أيّ لغة أجنبية امتيازات خاصة على حسابها، وأنّه حان الوقت لقيام وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بدورٍ فعّال يعيد لهذه اللغة بريقها وتألّقها، وذلك بفرض إتقان اللغة العربية على كلّ من يمارس مهنة التعليم سواء أكان من أهل الاختصاص أو من غيرهم، لرفع مستوى الأداء اللغوي، وتجاوز الأخطاء اللغوية. يُرافق ذلك حثّ التلاميذ في كلّ المواد التي تُدرّس باللغة العربية على الالتزام بالقواعد، ومحاسبتهم بشدّة على الأخطاء التي لا يأبهون بها، وبخاصة في الكتابة.

يُضاف إلى ذلك تحديث أساليب تدريس اللغة العربية، والابتعاد عن النظام التقليدي المتوارث في العملية التربوية، وذلك بالتركيز على الجانب الوظيفي للنحو، وتنمية المهارات اللغوية ولا سيما الكتابية، والابتعاد عن تعليم لغة القدماء وأساليبهم الصياغية التي يتلّقاها الناس بنفور، لأنّها غريبة عنهم، والاعتماد على النصوص العصرية التي تعكس البيئة التي يعيش فيها المتعلّم، مع المحافظة على ثوابت اللغة التي لا يمكن التغاضي عنها. ونختم كلامنا هذا بما بدأناه مع جبران خليل جبران حين قال مستشرفاً مُستقبل اللغة العربية: "مستقبل اللغة العربية يتوقّف على مستقبل الفكر المبدع الكائن في مجموع الأمم التي تتكلّم اللغة العربية، فإذا كان ذلك الفكر موجوداً، كان مُستقبل اللغة العربية عظيماً كماضيها، وإلا فلا..." (19).

الهوامش:

1- مصطفى سليمان، العربية هي الأقدر للكتابة العلمية، مؤتمر علمي، بنغازي، 1990، ص9.
2- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، دار مجدلاوي ط1، عمان، 2004، ص.283

3- موقع إلكتروني: lahjat.maktoobblog.com

4- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، ص69-.70

5- موقع إلكتروني: lahjat.maktoobblog.com
6- جميل حسين محمد، تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم، 2006م، ص42.

7- ويكيبديا (الموسوعة الحرة).

8- وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، عمان، 2007، ص.279
9- المرجع السابق، ص.68

10- ديفيد كريستال، اللغة والانترنت، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة ط1، القاهرة، 2005م، المقدمة ص.8

11- المرجع السابق، ص.294

12- المرجع السابق، ص8-.9
13- نبيل علي، العربية وتحديات العولمة، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 2001م، ص.79

14- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، ص.292

15- وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، ص69-70.

16- لويس كالفي، حرب اللغات، والسياسات اللغوية، ترجمة المنظمة العربية للترجمة ط2، بيروت، 2008م، ص396.

17- عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005م، ص.18

18- عبده الراجحي، العربية الجامعية والكتابة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2008م، ص.27

19- جبران خليل جبران، الآثار الكاملة، ص533.